

-١٣٤-

وإذا نحينا جانبا الفهم الشائع عن نحونا العربى من أنه لدراسة الإعراب وأواخر الكلمات فقط ، فإن هذا الفهم اللغوى الحديث يتفق إلى حد كبير مع واقع ما فى كتب النحو ، ومع الفهم الذى فهمه به كثير من علمائنا الأقدمين .

فمثلا إذا تصفحنا بابا مثل باب المبتدأ أو الخبر نجد أبحاثه الرئيسية تدور حول التطابق بين المبتدأ والخبر من حيث الجنس والعدد، وموضع كل منهما من حيث التقديم والتأخير ووجودهما فى الكلام أو أحدهما ، وتعدد الأخبار .

فمعظم هذه الأبحاث إنما هى فى التركيب اللغوى وأسراره وتكوينه.

وقد فهم كثير من أئمة النحاة القدماء مهمة النحو العربى بهذا المعنى، وعبدالقادر الجرجانى أشهر من أن يذكر بذلك، وقيل أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتابه «مجاز القرآن» ويقول أبو سعيد السيرافى : معانى النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف فى مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وغيرهما

- فالنحو فى رأيه يبحث فى الحركات والسكنات والحروف وكيفية تأليف الكلام فمهمته لا تقتصر فقط على ضبط أواخر الكلمات^(١) .

بهذا الفهم الموجز المركز لعلم التراكيب فى الدراسات اللغوية ، ومدى اتفاقه مع ما لدينا من تراثنا ، لعلنا لا أتجاوز الحقيقة إذ أشير بضم دراسات علم المعانى فيما يختص بنظام الجمل والتراكيب إلى الدراسات اللغوية ، وهى دراسة متطورة نامية يمكن أن تفيد منها أبحاث البلاغيين .

(١) الإمتناع والمؤانسة ج ١ ص ١٢٨ .